﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ٢٥﴾ [الحجر: 25]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

إذا أحاطَ الله بالمَخلوقاتِ قُدْرةً وعِلْمًا سهُلَ عليه إعادَتُهم وحَشْرُهم

لمّا تمَّ الدّليلُ على تمامِ القُدرة وشُمولِ العلم، ثبت قطعًا إحياءُ الموتى لانتفاء المانعِ من جهة القُدرةِ، واقتِضاءِ الحِكمةِ له من جهة العِلْمِ للعدْلِ بين العبادِ بالمقابلةِ على الصّلاحِ والفسادِ[1].

وأيضًا لمّا أخبرَ الله تعالى أنَّه يُحيي ويُميتُ، وقال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ كان ما ذُكرَ كالدّليلِ الموصِلِ إلى النّتيجةِ في قولِه تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْۚ﴾، فإنَّ مَن قدّرَ الحياةَ والموتَ ومن هو عليمٌ بما يقعُ من أحوالِ العبادِ لا يوجِدُ هذه الموجوداتِ ولا يقدّرُها عبثًا، فالإحياءُ والإماتةُ وعلْمُ الله بأعمالِ الخلقِ تَقتضي بحسبِ الحِكمةِ إعادةَ الإحياءِ بعد الموتِ للحشرِ، فجاءت هذه الآيةُ[2].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَحْشُرُهُمْۚ﴾: أصلُ (حشر): الجَمعُ والسَّوقُ، وأهْلُ اللُّغَةِ يَقولونَ: الحَشْرُ الجَمْعُ مع سَوْقٍ، وسُمّيَتِ الحَشَراتُ بِذلك؛ لِاجْتِماعِها وكَثْرَتِها[3]، والحَشْرُ: جَمعُ النّاسِ يَوْمَ القيامَة. والحَشْرُ: حَشْرُ يَوْمِ القيامَة. والمَحْشَرُ: المَجْمَعُ الَّذي يُحْشَرُ إليه القَوْمُ، وكذلكَ إذا حُشِروا إلى بَلَدٍ أو مُعَسْكَر أو نَحْوِهِ[4]، والمرادُ بالحَشْرِ في الآية: جَمْعُ النّاسِ من مواضِعَ مُتفرِّقةٍ إلى مكانٍ واحِدٍ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/41.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/40.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حشر).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (حشر).

سَيَحشرُ الله تعالى النّاسَ جَميعًا للحِسابِ والجزاءِ

### ❁ المَعنى الإجماليُّ:

يُخبرُ الحقُّ ﷻ نبيَّه مُحمَّد محمَّدًا ﷺ أنَّه تعالى وحدَه الَّذي يجمَعُ الأوَّلينَ والآخِرينَ يومَ القيامةِ للحِسابِ والجزاءِ، لا شَكَّ في قُدرته على ذَلك، وصِدقِ وعدِه، إنَّه ﷻ حَكيمٌ يضَعُ الأشياءَ في مواضِعِها اللّائقةِ بها، ومن ذلك حِكمتُه في تدبيرِ خَلْقِه ومُجازاتِهم على أعمالِهم، وهو عليمٌ بكُلِّ شَيءٍ، ومِن ذلك عِلمُه بأعدادِ خَلْقِه وأحوالِهم وأعمالِهم، فيُجازيهم عليها؛ إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شَرًّا فشَرٌّ[1].

### ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

تنبيهُ المُخاطَبين إلى أنَّ الله تعالى مالِكُهم ومُرَبّيهم هو الذي يَحْشرُهم

#### بَلاغةُ الالتفاتِ في الآيةِ:

لمّا كانت الآياتِ السّابقةُ بطريق خطابِ المُتكلّم المُعظِّم نفسَه ثمَّ انتقل الكلامُ في هذه الآية ليكونَ بطريق الغيبةِ بذكْرِ الاسْم الظّاهرِ كان الكلامُ على طريقِ الالتفاتِ؛ ليكونَ أحسنَ تطْريةً لنشاط السّامعِ، وأكثرَ إيقاظًا له، للإصغاءِ إلى أنَّ الله تعالى هو الذي يَحشرُهم وأنَّ الجزاءَ مُلاقيهم، كما أنَّ في الالتفاتِ بالتّعرّضِ لعُنوانِ الرّبوبيّةِ إشعارًا بعِلّيَّة حشْرِ الله لهم، فهو مالكُهم ومُرَبّيهم ويُحقّقُ العدْلَ فيهم[2].

حشرُ الخلْقِ يومَ القيامةِ للجزاءِ على أعمالِهم

#### دَلالةُ الخبرِ في ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡۚ﴾:

فائدةُ الخبرِ هنا المؤكَّدِ بـ﴿وَإِنَّ﴾ هي الإخبارُ بأنَّ الله تعالى يحشُرُ جميعَ المُستقدِمين والمُستأخِرين لا محالةَ، ولازمُ الفائدةِ الإخبارُ بأنَّه تعالى إنّما يَحشرُهم للثّوابِ والعقابِ لا محالةَ.

تَحقيقُ وعْدِ الله بأنّه هو الذي يحشُرُ الخلْقَ

#### فائدةُ تصديرِ الآية بـ﴿وَإِنَّ﴾:

أفادَ تصديرُ الجملةِ بـ﴿وَإِنَّ﴾ تحقيقَ الوعْدِ بأنَّ الله تعالى هو الذي يحشُرُ الخلائقَ، والتّنبيهَ على أنَّ الحُكمَ بحشْرِ الخلْقِ واقعٌ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/56، والسّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 430.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/73.

مُتحقِّقٌ، بما سبقَ منَ الدّلالة على كمالِ قُدرةِ اللّه تعالى وعلْمِه بتفاصيلِ الأشياءِ لتحْقيقِ حِكمتِه سُبحانَهُ وظُهورِها، فيدلُّ التَّأكيدُ على صحَّة الحُكم، ولهذا أتْبعَه بالجملة الفعليَّةِ في قولِه ﴿يَحْشُرُهُمْۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ كما سيأتي[1].

### دَلالةُ الحصْرِ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْۚ﴾:

اللـه تـعالى هو وحـدَه الـقـادرُ عـلى حـشْـرِ الـخـلْـقِ، وهـو الـعـالِـمُ بهم مـع كـثْرَتِـهـم وتَباعُدِهم

لمّا جاء المُسندُ إليه ضميرًا ﴿هُوَ﴾ والمُسندُ هو الخبرُ الفعليُّ ﴿يَحْشُرُهُمْۚ﴾ أفادَ الحصرَ بمعونةِ ورودِ التّأكيدِ بـ﴿وَإِنَّ﴾ ومَجيءِ الجُملةِ اسميَّةً، أو يقال لمّا توسَّطَ ضميرُ العظمةِ ﴿هُوَ﴾ دلَّ على أنَّه العالِمُ بحصْرِهم مع إفراطِ كثْرتِهم وتباعُدِ أطرافِ عددِهم والقادرُ على حشْرِهم والمُتولّي له لا غيرَ؛ لأنّهم كانوا يَستبْعِدون ذلك ويَستنكِرونَه، ويقولون: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨﴾ [يس: 78][2].

### فائدةُ الإضافةِ في ﴿رَبَّكَ﴾:

إظـهـارُ شَـرَفِ الـنّـبـيِّ ﷺ والتّنْويهُ بشأنِه عـنـدَ حـشْـرِ الخلائقِ

في الإضافةِ إلى ضميرِ المُخاطَبِ المقصودِ منه رسولُ اللّه ﷺ دَلالةٌ على اللُّطْفِ به ﷺ، وتَنْويهٌ بشأنِه ﷺ؛ لأنّهُم كَذّبوهُ في الخَبَرِ عَنِ البَعْثِ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾ [سورة سبأ: 7 - 8]، أيْ فكَيْفَ ظَنُّكَ بِجزائِهِ مُكَذِّبيك إذا حشَرَهم؟![3].

### فائدةُ مجيءِ خبَرِ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ جُملةً اسميَّةً:

لا أحـدَ يَـحْـشُـرُ الـخـلْـقَ سِـوى الله تعالى

لمّا كانت جملةُ ﴿هُوَ يَحْشُرُهُمْۚ﴾ خبرًا لـ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ أفادتِ الجملةُ الثُّبوتَ، بمعنى ثبوتِ أمْرِ حشرِ جميعِ الخلْقِ للّه تعالى دونَ غيرِه.

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/209، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/141.

(2) الزمخشري، الكشاف: 2/576، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/209، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/73، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/141.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/73، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/41.

### فائدة وُرود الخبر جملة فعليَّة في ﴿هُوَ يَحۡشُرُهُمۡۚ﴾:

حَشْرُ الخلْقِ من شأن الله وحدَه

أفادَ مَجيءِ الخبرِ جملةً فعليَّة تقوّي الحُكمِ وتحقيقَه، بمعنى تحقيقِ الأمرِ للسّامعِ بأنَّ اللّه هو يحشرُهم وليس غيرَه.

### دَلالةُ الضّميرِ في ﴿يَحۡشُرُهُمۡۚ﴾:

شُـمـولُ حشْرِ الله كلَّ الخلائقِ على وَفْقِ علْمِه بهم وبما قدّموا وأخّروا

لمّا ذكرَ اللّه تعالى أنَّه قد علمَ كلَّ المُستقدِمين والمُستأخِرين جمَعَهم هنا في الضّمير (هم)، ولمّا كان الضّميرُ يعودُ على الاسْم الظّاهرِ بما اتّصفَ به من تعلُّقِ علْم اللّه بهم، أفادَ أنَّه تعالى يحشُرُ الذين أحْياهُم وأماتَهم منَ المُستقدِمين والمُستأخِرين على وَفْقِ علْمِه بهم وبأحوالِهم، فيكونُ الضّميرُ على معنى العُمومِ والاستغراقِ، أي يحشُرُ كلَّ المُستقدِمين والمُستأخِرين.

### فائدةُ (إنَّ):

بيانُ العلَّةِ من حشْرِ الله تعالى للخلائقِ وبيانُ وجْهِ الفائدةِ منه

جاءت (إنَّ) في قوله ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾: لتأكيدِ مضمونِ الجملةِ ولتقريرِ المعنَى في نفوسِ المُخاطَبين، ولِربطِ الجملةِ المتَّصلة بها بما قبْلَها على سبيل بيانِ العلَّةِ من حشْرِ اللّه تعالى للخلائق وبيانِ وجْهِ الفائدةِ منه، فكأنَّه قيلَ إنّما يَحشُرُهم؛ لأنّ الحكمةَ تقتَضي الحشرَ للجزاءِ على أعمالِ الخلْقِ، وأنَّ الجزاءَ يكونُ على وَفْقِ علْم اللّه بهم وبأحوالِهم، فلا ظلمَ يومَ القيامة، فكان تذْييلُ الآية بهاتين الصِّفتَين منَ الحكمةِ والعلم في غاية المناسبةِ، فكأنَّه قيل إنّما يَحشرُهم لأنّه تعالى كاملُ القُدرةِ يفعلُ كلَّ ما يفعلُ على مقتضى الحكمةِ والصّوابِ، ولأنّ علْمَه قد وسِعَ كلَّ شيءٍ ومنه علمُه تعالى بأجزاءِ الموتَى ومواقعِها في أمكنةٍ شتَّى، فيكونُ حشرُ الخلائق على مقتضَى الحكمةِ ووضْعِ الأمورِ في موضعِها السّليم، ولو لم يقعِ الحشْرُ لكان مخالفًا لحكمةِ اللّه وعلْمِه بجميعِ الأمور[1].

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 323، والزمخشري، الكشاف: 2/576، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/137، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/209، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/41.

### دَلالةُ الضَّميرِ في قولِه ﴿إِنَّهُۥ﴾:

حَشْرُ الخلائقِ من مُقتضَى حِكْمةِ اللهِ تعالى وعلْمِه

لَمّا كان الضّميرُ يعودُ على الاسْمِ الظّاهرِ المذكورِ قبْلَه بما اتّصفَ به أفادَ أنَّ المرادَ إنَّ ربَّك الذي يحشُرُهم حكيمٌ عليمٌ، ففيه إشعارٌ بأنَّ الحشْرَ هو من مُقتضَى حِكمتِه وعلْمِه ﷻ كما يفيدُ عمومَ الوصْفَيْن وثبوتَهما له سُبحانه.

### دَلالةُ مَجيءِ الوصْفَين الجليلَيْن بصيغةِ فعيلٍ:

حِكْمةُ اللهِ تعالى في جعْلِ الحشْرِ لجميعِ الخلائقِ، وعلْمُه وسِعَ كلَّ شيءٍ

دلَّت صيغةُ فعيلٍ التي للمبالغةِ في قولِه تعالى: ﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ على أنَّ اللّه تعالى له كاملُ الحكمةِ وكاملُ العلمِ، وزاد من معنى المبالغةِ حذفُ متعلَّقِ الوصْفين، فلم يقل (حكيم في خلقِه أو في حشرِه) مثلًا كما لم يقل (عليمٌ بهم أو بأعمالِهم)؛ للإيذانِ بأنَّ الوصْفَين على معنى الوصفِ المُطلقِ، ولإفادة العُموم في كلِّ مُتعلَّقات الصّفتَين، ولمّا جاءتِ الصّفتان في سياقِ بيانِ العلَّةِ لوقوعِ الحشرِ أفاد المعنى أنَّه تعالى باهرُ الحكمةِ في جعْلِ الحشْرِ لجميعِ الخلائق، مُتقنٌ في أفعالِه كلِّها ومنها الحشرُ، وأنَّ علمَه وسِعَ كلَّ شيءٍ، فلا يُعجزُه حشرُ الخلائق كلِّها؛ لِعلْمِه تعالى بأجزاءِ الموتى ومواقعِها مهما كانت في أماكنَ شتَّى، مختلفةٍ أو متباعدةٍ، وأنَّهم سيُحاسَبون على وَفْقِ علْمِ اللّه بهم وبأعمالِهم.

### نكتة التّرتيب في ﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾:

الحَشرُ والجزاءُ على الأعمالِ يومَ القيامةِ من مُقتضى حِكْمته سُبحانه

لَمّا كان السّياقُ في بيانِ أنَّ اللّه تعالى سيَحْشرُ الخلائقَ يومَ القيامة كانَ تقديمُ صفةِ الحكمة على صفة العلْم؛ للإيذان باقتضائها للحشْرِ والجزاءِ، وأنَّ الحشْرَ لجميعِ الخلائق فلا يَشذُّ منهم أحدٌ؛ لأنّ اللّه عليم بهم وبمواضعِهم جميعًا[1]، ولما كان الحسابُ والجزاءُ بعد الحشْرِ ناسبَ مُجيءُ العلْمِ بعد الحكمةِ.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/73.